الحرب الخفية

رواية

صفاء خالد

(الطبعة الأولى)

دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة.

اسم الكتاب: الحرب الخفية
اسم المؤلف: صفاء خالد
الإخراج الفني: إكرام عيد
رقم الإيداع: 2019/2133
الترقيم الدولي :1-88-6668-977-978
تصميم الغلاف: عادل التوني
المدير العام: محمد عيد
المدير التنفيذي: عزة إبراهيم
0239769176/**01006141645**

لا يُسمح بإعادة طبع ونشر هذه الرواية أو أي جزء منها بأي شكل من

كل الحقوق محفوظة

دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة.

إهداء

إلى أمي آمال إسماعيل..

جمعت قطرات عينيك لكي أكتب بها

أعلم أنكِ أهدرتها خوفًا عليّ

أمي إنك مثل الشمس التي تنير حياتي.

إلى روح خالتي نجاح إسماعيل..

أرواحنا تتساقط كما تتساقط أوراق الشجر

افترقنا ولم أتوقع أن تخونني الحياة هكذا

افترقنا في دنيا المفارق.. يعلم الله كم أحبكِ.

إلى عمي أشرف عبد العزيز..

أهديك بعض كلماتي وبعض حروفي.. لم أجد عندي أغلى ثمنًا منها لتعبِّر عن حبي لكَ.

عندما بدأت أقرأ ما بداخلي كنت محطمة تمامًا.

ليس غريبًا بالنسبة لي أن أقرأ ما بداخلي.

اعتدت أن أشعر بكل أعضائي، حتى دمي شعرت به وهو يسري في عروقي كأنه بركان انفجر للتو وتدفق في جسدي.

لماذا أشعر كأنني تائهة في الكون. حكايتي بدأت عندما بدأت أقرأ جسدي وأفهم عقلي. بدأت كالحلم.. غريب أن تفهم أعضاء جسدك، وأن تشعر بألمها قبل أن تبدأ، ولكن ليس غريبًا بالنسبة لك ألا تفهم شيئًا في داخلك.

سوف أقص حكايتي..

التقينا في يوم كانت السماء فيه تستعد للهجوم، والسحب التحمت لتصب أمطارها علينا، كنت أستمتع بالمطر كثيرًا ولكنه في هذا اليوم بدا وكأنه رصاص ينزل فوقنا. أحسست بروحي تنسحب من جسدي وشعرت بمياه دافئة على وجهي، وفجأة ابتسمت ومسحت الدموع من عيني، عندها ظهر كالشبح وأعطاني كتابًا هدية الوداع، وتمتم ببعض الكلمات، كنت حينذاك في عالم آخر، لا أتذكر ماذا قال، ولكني أتذكر أنه قال لي: اقرئي هذا الكتاب، إنه يتكلم عنكِ أنتِ. قلت بذهول: ماذا؟ عمن؟ قال: عنكِ أنت وأنا، عن الإنسان، عن الحرب، عن علاقتنا، ستعلمين لماذا انتهت علاقتنا.

قال ذلك ثم اختفى. كنت أتَّبع أثره حتى غاب عن ناظري، ولم تقاوم عينيَّ أكثر، فتفجرتا بالدموع، مسكت هذا الكتاب الذي فرقنا لأقرأ ما به. هل أسمي هذا الكتاب **"الجحيم"**؟

حاولت أن أقرأ عنوانه، وبرغم أن الخط كان عريضًا فإن الدموع حالت دون رؤيته بشكل واضح.. كان عنوانه **"الحرب الخفية"**، عندها بدأت ترتسم على ملامحي علامات التعجب والحيرة!!

عما يتحدث هذا الكتاب؟

كان قلبي يؤلمني.

ذهبت إلى البيت ووضعت الكتاب فوق المكتب وخلدت إلى النوم متمنيةً ألا أستيقظ. هل بهذه السهولة يطردني من قلبه؟

هل فعلاً هذا الكتاب هو السبب؟

عما يتحدث الكتاب؟

كل يوم تتزاحم الأفكار ليستيقظ وحش الصداع. استيقظت من نومي ورحت أتحدى نفسي محاولةً تغييرها للأفضل. كانت شرارة التغيير قد بدأت في قلبي، وسيطرت على عقلي. أولاً بدأت أقرأ الكتاب لأعرف الحقيقة، كان الفضول يقتلني. أحضرت فنجانًا من القهوة وبدأت أقلّب صفحات الكتاب..

فجأة ظهرت كلمات مكتوبة بخط يده في أول صفحة من صفحات الكتاب البيضاء:
"عندما تقرئين هذا الكتاب ستفتحين أبوابًا كانت مغلقة أمامكِ، لذلك لا أنصحكِ بقراءته إلا وأنتِ في وعي كامل.. هل تفهمين؟"

انتفض قلبي فجأة، فتوقفت عن القراءة، ورميت بالكتاب فوق المكتب، ثم ذهبت لأخلد إلى النوم ودقات قلبي تتسارع، وعندها بدأت الأفكار تتزاحم من جديد، تُرَى ما هي الأبواب التي يريد فتحها لي؟

إنه يعرفني جيدًا، ويعرف شخصيتي، هل يريد فتح بصري على الحقيقة، وتآمر مع الكتاب ليتركني معه بعض الوقت؟
استيقظت ولازمني الصداع من كثرة الأفكار. أخذت الكتاب من فوق المكتب وذهبت لأحضر فنجان القهوة، لم أكن حينها في وعي كامل، سيطر عليّ الفضول، وبدأت في قراءة **"الحرب الخفية"**.

تحدثنا الروح

قبل دخولها في الجسد

بدأت الحرب بشراسة من طرف إبليس. كان المكان سحريًا للغاية، تطوق نفسي لرؤيته ثانيةً.

أيكون هذا الاشتياق لأنه يضيء بنور الله تعالى؟ أيكون لأنه من صنع الله؟

كنت أتذكر كم عاهدت نفسي أن أفوز في حرب ستُنسى في ذاكرة الجسد عندما يُخلق.

كنت أتساءل: كيف أتذكر هذا العهد بيني وبين نفسي؟

كيف أتسلح بأسلحة الدمار لإبليس وجنوده؟

كيف أتذكر سلاحًا عاهدت نفسي ألا أنساه (الصبر)؟

سأعصر ذاكرة الروح لتذكرني بروعة المكان، وبروعة الفوز وبكيفية الحرب.

أعلم أن ذاكرة الروح تتلاشى عندما يُخلق الجسد، ولكن سأتذكر برسائل من الله يهبني إياها.
تجذبني نفسي إلى أن أغوص في ملذَّاتها وشهواتها، وأن تُترك ليتلاعب بها الشيطان، ويحقق انتصارًا من انتصاراته على بني البشر، ولكن روحي تتشبث بتلك العهود التي عاهدت الله عليها، وتشتاق للمكان الذي سحرت به.
المكان الذي رأته لأول مرة، وتمنت أن تعيش فيه. احتضنت روحي المكان بكل قوتها.
أتذكر إبليس عندما عصا الله سبحانه وتعالى. كم كنت أمقته حينما قال "لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ".
كم دب الأمل في قلبي، وتمنيت أن أكون من المخلصين.
كنت أتساءل: كيف ترك كل النعم التي أنعم الله بها عليه ليدخل باب الحرب ويغوينا جميعًا، ويجعلنا من أنصاره ونحن لا نعلم؟
كم نحن أغبياء.
لماذا أشعر أن جسدي سجن روحي ونسيها في بحر النسيان. لقد نسيت كل ما هو ساحر للنظر وكل عهد أخذته، ولا تتذكر شيئًا.
كم أنعم الله علينا ليرسل رسلاً وكتبًا ربانية لتذكرنا بما حدث قبل أن تُسجن الروح الجسد.
إنني الآن في عالم افتراضي.. عالم لا مرئي.. عالم الأحلام أو قل إنه عالم الأوهام إذا كنت لا تعتقد إلا بالمادة، لأنه لا يهتم بالمادة، إنه عالم يهدم اعتقادنا، يدمر تصورنا وأفكارنا في عالم المادة، كنت أتساءل بفضول: ما هو العالم المادي؟ كيف أُسجن في الجسد؟
ماهو شكله؟ سيمتلكني لتختفي روحي فيه، أم أنا التي سأمتلكه لأتحكم في مصيره؟ إنه وعد أخذته، سأعتني به.. سأحافظ عليه.. سأحميه لأنه ببساطة أصبح جسدي، ملكي أنا.
كنت في ذهول تام وفضول أيضًا حول الحياة الجديدة التي سأعيشها. كنت سعيدة وخائفة من الحرب التي ستبدأ عند دخولي في الجسد، تتراقص حولي الأفكار، أفهمها وهي لا تفهمني. إنني أعيش الحقيقة الآن.. الحقيقة المطلقة التي لا أجدها في العالم المادي.

العالم المحدود لا أستطيع أن أرى فيه كل الأشياء. إنه ببساطة عالم نظري محدود، ولا أستطيع أن أسمع فيه كل الأصوات، لأن سمعي أيضًا محدود.
إنني الآن في عالم الأحلام تتطاير روحي مع نسمات الهواء الباردة، تختلط بها، تحتضنها وتقبلها قبلات نسيم الصباح، وتتراقص مع أوراق الأشجار، أنظر نظرة خاطفة سريعة أرى العالم بأكمله.
أليس هذا جميلاً حقًا أن أرى العالم بأكمله، وأن أسمع كل ما أريده وأنا ألعب مع نسمات الهواء الباردة. إنني الآن في عالم السلام النفسي، حيث لا توجد به حروب ولا قيود بالنسبة للعالم المادي.
أنا الآن في عالم الأوهام ولست موجودة من الأساس، يظنون هذا، ولكن الحقيقة أنني موجودة، ويداعبني الفضول، وأنتظر بصبر أن يخلق جسدي.
لماذا كل هذا التأخير؟ إنني أشتاق لخوض تلك التجربة، سأحارب هذا الكائن الذي أعلن الحرب علينا في الملأ الأعلى، وقال إنه سيهزمنا جميعًا.. إنه لا يعرفني حقًا. أتساءل: كيف تحدَّث بتلك الثقة؟ ألم يعلم أننا رأينا كل شيء.. رأينا حقده علينا، وغروره وكبرياءه.. رأينا الجنة ونعيمها، والنار وعذابها؟ أم أنه يعلم أننا سنسجن في سجن النسيان مع الجسد أم أن غروره هو الذي تحدث؟
كنت أتهيأ للحرب.. أعلم أنها ستكون شرسة.. أعلم أنه لن يتركني، سيحاول وسأكون قوية.. أجل سأكون قوية، ولن أسمح له أن يهزمني.
أنا الآن في فضاء واسع تموج به أفكاري، تحيط بي من كل الأنحاء كأني سجينة انسحبت فجأة من عالم الأحلام إلى جسد طفلة في بطن أمها.
أحسست أني في سجن مظلم أسمع أصواتًا لا أفهمها، أريد أن أطير كما كنت أفعل، ولكن لا أستطيع. أحسست أنني مقيدة بقدرات جسدي الصغير هذا.
أبحث حولي لأفهم الأفكار، ولكن لا أستطيع.
سُجِنت الآن في الجسد.. أجل الآن دخلت العالم المادي.. عالم الحياة.. عالم الدنيا. أول نزولي من الظلام رأيت الشيطان يلمسني فخرجت مني صرخة مدوية بفزع ورعب، وعندها اكتشفت أنني أملك صوتًا. كنت أنظر لمن حولي

في تعجب وحيرة، فهم يتحدثون بلغة لا أفهمها، ولا يفهمون صمتي، حاولت أن أتأقلم مع الجسد المادي، وعندما بدأت أتحدث اختفت ذاكرتي تدريجيًّا كأنها تتلاشى شيئًا فشيئًا، أجل إنها حقيقة الجسد "التناسي".. وجدت نفسي صفحة بيضاء، لا أتذكر أي شيئًا.

كان نمو جسدي أسرع من نمو إدراكي للحياة، اعتدت على جسدي حتى نسيت أنني سأموت في يوم ما.. لا لم أنس، ولكن إدراكي للموت لم يتجسد في عقلي بشكل كامل، فأصبح كالشبح أصدقه ولا أصدقه، فانجرفت في تيار الحياة مع أناس يحقدون ويحسدون، وأنا في المقابل أكره وأمكر أحيانًا، ودخلت دوامة الحياة وطريق الشيطان، ونسيت الحرب التي بدأتْ، وأنا في غفلة ونوم تام كأن عقلي لم يدرك من الأساس أنها حرب. كيف لم يدرك وأنا الآن أمام جيشين؟!

جيش نفسي التي لم أدرك أنها ستخونني هكذا وتبدأ الحرب، وجيش إبليس وأعوانه، والذي أعلن الحرب في الملأ الأعلى، واستغل غفلتي وعدم إدراكي للحياة. إنه يجعلنا ندمر أنفسنا -نحن البشر- نحارب بعضنا البعض بالكره والحسد. لقد بدأ حربًا نفسية علينا.. لم أتوقع أنه سيجعلنا نحارب أنفسنا.. وكيف لا أتوقع ذلك وقد طلب من رب الكون ألا يكون مرئيًا وملموسًا أي شيء غير مادي.. ونحن في سجن الجسد لا نعترف إلا بالمادة.. كم أنا غبية، أصبحت أتلقى الطعنات منه وأنا لا أعلم أنها حرب الشيطان.

يتجسد الموت في عقلي بعض لحظات عندما يموت شخص أعرفه، ولكنه يتلاشى من عقلي تدريجيًا مع نسيان هذا الشخص فتصبح الأيام دواءً للنسيان.

هل الأيام تتآمر مع الشيطان في صفقة ضدنا نحن البشر؟ أم أن الجسد الذي أمتلكه من صفاته القدرة على النسيان؟ أم أني أنا من تملكني الشيطان ليتحكم بي؟ أشعر أنه قيدني بقيود الكذب والخداع والكره، لا لا لم يقيدني.. الروح منذ أن خُلقت وهي حرة.

لماذا استسلمت روحي إذن؟

ألم تكن تريد الحرب؟

ألم تكن تريد هزيمة الشيطان؟ أم أنا التي أضعفتها؟
تلتف حولي التساؤلات تغرقني في التفكير.
ما هو الوجود؟ أجل لماذا أنا موجودة في هذه الحياة؟ لماذا يتلاعب بي الشيطان؟ لماذا يتملكني اليأس ويقذف بي في هوّة الموت النفسي؟ أشعر أنني أختنق من هذه التساؤلات.
فجأة يتوقف قطار التساؤلات في عقلي وتظهر الإجابات حولي.. أريد أن أمسك بها فتهرب مني، أشعر أنني مشتتة ولكنني الآن أمام باب مغلق أحاول فتحه.. اعذروني واغفروا لي جرأتي في فتح هذا الباب.
الروح والنفس..
الروح هي الوجود الحقيقي لأنها هي القوة الهائلة في الجسد، هي الطاقة الكامنة التي تقود الجسد إلى الخير، وتميل إلى النجاح والوصول إلى أهدافها، لأن من أسلحتها الإرادة.
أما النفس فضد الروح بمعنى الكلمة..
النفس هي القوة المعاكسة للروح.. النفس دائمًا تقود الجسد نحو الشر، لا أعلم لماذا تريد أن تثبت أنها أقوى من الروح. ومن أسلحة النفس على الجسد اليأس والقلق والخوف.
وعند انزلاقي في اليأس تظهر الإرادة لتنقذني من النفس، وإذا استسلمت أجد نفسي تائهة في أعماقي أفتش عن مخرج، ولكن بلا جدوى. لقد سقطت في كهف من كهوف النفس.. كهف في أعمق أعماقي اسمه الموت النفسي، وهو ألا تريد أي شيء غير أن تنتهي هذه الحياة.
تتغذى النفس على الأعمال اللاإنسانية، تتلذذ عندما تظلم أحدًا كأنها تتناول وجبة شهية، ولن تتركك ستأمرك بمزيد من الظلم لأنها مركز الأمر في الشر.. تتراقص في أعماقي عندما أرفض مساعدة شخص طلب مني المساعدة.. تقودني إلى أن أهدر الوقت في أشياء غير مفيدة، ترميني أحيانًا بسلاح القلق لينهشني.

عندما تتسلل النفس لتتسكع داخلي أجدني إنسانة مضطربة نفسيًا ويتبعثر الخوف في خلايا جسدي، وأجد روحي مريضة، وعندها تغرس الروح الإرادة في أعماقي، إنها طريقتها الوحيدة للنجاة، وعندما أقاوم لأطرد اليأس تتعافى تدريجيًا.
اليأس فيروس مدمر للجسد والروح..
الإرادة هي طوق نجاة الجسد.
دائمًا تأمرني روحي بالأعمال الخيِّرة ومساعدة الناس لأتذوق السعادة الحقيقة، إنها الوجود الحقيقي. أما النفس فستختفي عند موت الجسد، ولكن هل النفس تتعاون مع الشيطان ضد الجسد والروح؟ أجل إنها تأمرنا بالسوء، كما ذُكر في القرآن أن **النفس لأمارة بالسوء.**
النفس والروح متناقضان، ولكن أجمل ما في الإنسان أن النفس والروح عندما يتصالحان فإنهما يتحدان، حيث تتناغم صفات الروح مع النفس فتصبح النفس المطمئنة، ويسود السلام النفسي في أعماق الإنسان فتهدأ الحرب التي بدأت منذ دخول الروح الجسد. إنهما في رحلة صراع طويلة منذ أن خُلق الجسد.

إذا تسللت لتسرق نظرة على المعركة تجد النفس اللوامة التي غرست الروح فيها بعض صفاتها، ولكن لم تتناغم مع الروح فتأمر بالسوء فسرعان ما تجول صفات الروح في النفس فتلومها فتصبح النفس اللوامة هي التي تموت كما ذكر في القرآن "كل نفس ذائقة الموت، أما الروح فتخرج لتعيش حياة أخرى ما بعد الموت، هكذا الفراق، الجسد يبلى والنفس تموت، والروح تتحرر لتعيش حياة البرزخ، وعند خلق الجسد فإن الروح والنفس يتصارعان كأنهما جيشان مختلفان، وهنا سأترككم في صراع من صراعات النفس.

صراع في عتمة النفس

رسائل من مجهول

سآخذك في رحلة إلى أعماق نفسك لأسمع ما بداخلك، أعرف أن أصوات النفس موجات لا أحد يستطيع سماعها سواكِ، ولكني أملك قوة خارقة. أشاهد غابة معتمة مخيفة، تكثر بها الوحوش المفترسة، كيف نقتل هذه الوحوش يا مريم؟ أنتِ فقط القادرة على قتلها، استخدمي سلاحك لقتل سلبياتك.

تحدثنا مريم..

كان صمتك يقتلني..

لماذا استخدمتِ هذا السلاح لقتلي؟؟

لأنه يقتل بالتعذيب..

ولماذا أراكَ تتلذذ بتعذيبي؟

لأنك كرهتني.

أو لأنك تحب قتل أعدائك بالتعذيب.

وكيف أصبحت من أشد أعدائك، وكنت البارحة أعيش في قلبك؟

كيف طردتني وأنت لم توضح أسبابك؟

أكان لبيت قلبك إيجار غالٍ الثمن وأنا لم أدفع؟

أكنت فقيرة إذن وأنا لا أعلم؟

وكنت أنت الرجل الغني الذي لا يشفق على الفقراء؟

ما أروع البدايات.. ألم يكن إبليس في البداية طاووس الملائكة؟ أين نهايته الآن؟؟ لا تترك نفسك لتنصاع إلى برشام مخدر لا يملكه إلا شخص واحد ليتحكم في مصيرك.

في بدايتي كنت زهرة حتى قابلته فأصبحت شوكة تؤذي من يقترب منها.

أمرضت روحي بيدي فأصبحت تلازم الفراش، وتآمر الفراش مع أحلامي ليفزعاني كل ليلة.

أصبحت أشتهي الموت.

عندما كتبت هذه الرسالة التي قتلتني كنت تائهة ضائعة لا أشعر بشيء وكأن قلبي قد تيتَّم توًا.

كانت نبضات قلبي تتسارع، لا أسمع إلا صوت قلبي كأن كل الأصوات حولي صمت، استجمعت شجاعتي وكتبت له تلك العبارة التي نلقيها على الغرباء.

لماذا أصبح غريبًا بالنسبة لي؟ ولماذا ينبض قلبي باسمه كأنه يأبى ألا ينساه؟

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"

كيف حالك؟

ألا تتركني أستفسر منك عن أمر مهم؟

لا أعلم ما هو هذا الأمر، ولكني أردت أن أتحدث إليه، شعرت بإحساس مختلط: خوف مع فرح، ودقات قلبي تزداد سريعًا كأنها تتسارع لجائزة لا أعلمها.

انتظرت يومًا كاملاً، وكانت اللحظات تمر ببطء، ما أسهل أن تكتب رسالة لشخص تعرفه، ولكن ما أصعب تلك الرسالة على قلبي.

جاء الرد ليفزعني ودقات قلبي تتسارع حتى استوقفت عيني تنظران بلا تصديق، تجمدت في مكاني للحظات.

"وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته"

سبحان من له البقاء..

تفضلي.. إني أسمعك.

كتبت له: من مات؟ ولكن قبل إرسالها أدركت الحقيقة.

إنها لي.. لا أحد سواي.

سبحان من له البقاء، هذه العبارة كم نطمئن عند سماعها، ولكنها أفزعتني وقتلتني دون أن أدري.. قتلت قلبي بخنجر مسموم.

ماذا يقصد اني مت بنسبه له

كم من ذكائه وكم من غبائي اني اسمعها

ماذا يقصد.. هل يقصد أني مت بالنسبة له؟

كم كان ذكيًا، وكم كنت غبية عندما سمعتها.

كم هي قصيرة وكم هي طويلة تعني آلاف المعاني من البعد.

هل مت حقًا وأنا لا أعلم؟؟ هل هذه هي روحي؟؟ كم كنت حمقاء في هذه الحياة.. متي كانت جنازتي؟ ومتي شُيِّعت خارج قلبه وأنا لا أعلم.

فتدنت روحي وأدركت اني فقيره إلى امتلاكه كم كنت حمقاء عندما انجذب قلبي اليه أصبحت تتلاشي الضحكة من وجهي حتى اختفت، كم اشتاق إلى وجهه الطفلة عندما كانت تضحك معي ابيها كم مرة من العمر لأنسحب من الحياة وأنا موجوده بها

وهنت روحي وضعفت، وأدركت أني فقيرة إلى امتلاكه، كم كنت حمقاء عندما انجذب قلبي إليه، أخذت الضحكة تتلاشى من وجهي حتى اختفت، كم

أشتاق إلى وجه الطفلة عندما كانت تضحك مع أبيها.. كم مرة في العمر تمنيت أن أنسحب من الحياة وأنا موجودة بها.

أصبحت الحياة طريقًا مظلمًا ومخيفًا بالنسبة لي، وأصبح هو آفة تأكل روحي عندما أتذكره، لا أعلم كم كبرت، وما هو عمري الآن. تتساقط أمامي السنوات التي عشتها، أصبحت لا أفقه شيئًا كأني مازلت في عالم آخر، هل تراجعت روحي إلى مصدر الأمان الذي عرفته؟ لا أعلم، ولكني أصبحت دمية تأكل وتتحرك دون هدف أو أمل، كم نحن في شقاء. كم تألمت حتى اعتدت الألم.

روحي تتخبط في دهاليز جسدي كأنها تأبى أن تترك جسدي ليرتاح إلى الأبد، وكيف أطردها من بيت امتلكته؟. أصبحت مشوهة نفسيًا، لا أعلم كيف أتصرف ماذا عليّ أن أفعل؟ كيف أتحدث؟ لساني يتثاقل عندما تخرج الكلمات مني. كنت أرى الأشخاص بعين ليست عيني، كم هم مخيفون هؤلاء الأشخاص.. أم أنا المخيفة بالنسبة لهم؟. كم هو مؤلم عندما لا يشعر بك أحد.. كم هو مؤلم أن ينظروا نظرة مخيفة.. أم أنني الذي أنظر هذه النظرة؟ لا أعلم، لا أعلم أي شيء.

هل حطمت روحي وشوهت نفسي؟ أم أن هذه الحياة هي التي حطمتني؟ توقفت حياتي في هذه اللحظات، أصبحت أعمى وأنا بصير، أرى الدنيا من خلال نظارة سوداء، أصبحت من عباد العزلة والوحدة، لست أنا من اختار هذه العبادة، بل هي التي فرضت نفسها عليّ، وسيطر عليّ وحش الانتحار.

وفي وسط هذا الدمار الداخلي انتشلتني رسالة من رقم غريب بالنسبة لي.

نظرت بتركيز متأملة الرسالة..

"بدأت الحرب الأزلية، إنها تعتبر أول حرب عرفها الإنسان منذ القدم، غريبة هذه الحرب، لا توجد بها أسلحة، بل تتآمر عليك أعضاؤك، وإذا رفعتِ راية الاستسلام فإنك لا تنجين بهذا الفعل، بل تموتين بلا رحمة. لا تنتظري

أن يرحمك قلبك أو حتى عقلك، كل أعضائك ستهجم عليك بشراسة كأنك أنت عدوها الوحيد، ستدمرين نفسك بنفسك، وإذا فكرتِ في الانتحار فاعلمي أنك في المرحلة الأخيرة من الحرب، وستنتهي بموتك وأنت لا تعلمين.

انتظري رسالة في التوقيت نفسه.. سأشرح لك أسلحة الحرب إذا كنتِ تريدين أن تحاربي.. أنت الخصم الأضعف الآن"

نظرت إلى الرسالة في ذهول.. هل هذه حرب فعلاً؟

وما أصعب هذه الحرب. لست من حزب الاستسلام، ولا أريد أن أنضم إليه. وقفت أمام نفسي لأتأمل كيف تآمرت عليّ أعضائي. أجل إنه على حق، فمنذ أن بدأ الدمار يلحق بي أخذت في تناول أقراصٍ مسكِّنة للصداع، وذهبت للطبيب بسبب القولون العصبي، حتى عظمي ما سلمت منه. نظرت في المرآة فرأيت ملامح وجهي هي الأخرى وقد تآمرت عليّ لتتغير للأسوأ.. عندها قلت بفزع: من هذه؟ لست أنا؟ أحسست بعتمة ذاكرتي.. انتظرت الرسالة بلهفة يتخالط معها الأمل.. أحسست أن هذه الرسالة هي الملاك المنقذ. فجأة دق الهاتف ليوقظني من عتمة النفس ودمارها.

"هل أنت مستعدة للمواجهة؟ الموت في هذه الحرب لا يعتبر شهادة لله، إنما عار يلاحق عائلتك أيضًا، وخسارة نفسك للأبد. أعلني الحرب رسميًا على نفسك أولاً، استخدمي سلاح النسيان لطعن الذكريات. أعلم أننا لا نقدر على العيش بدون ذكريات، ولكن أهمليها لتهملك، لا تهتمي بها، إنها مثل روح شريرة، وأنتِ تستحضرينها وتتركينها لتنال منك.. كفى شعوذة".

حاولت أن أستخدم سلاح النسيان لأطعن وأطرد ذكرياتك، ولكن ذاكرتي تخونني دائمًا..

وعدتني ذاكرتي ألا أتذكرك فصدقتها.

هي التي لم توفِ يومًا بوعدها ولكنني صدقتها.

ليس إيمانًا بها ولكن حبًا في النسيان.

هاجمتني الذكريات فجأة.

أصبحت أنت العدو الذي احتل قلبي.

خدعتني طبول الحرب بالأحلام.

وكيف يكون في الحرب أحلام؟!

أم أنني كنت أسكن عالم الأوهام؟

أجل كنت أسكن عالم الأوهام. هاجمت ذاكرتي كأنك محتل قد احتل عقلي فاستسلمت كأن عقلي ملك لك.

لم أشعر بقدميّ وهما تسيران على الطريق الذي اعتدت أن أسلكه، كأني أتشبث بآثار قدميك، وكأن آثار قدميك هذه هي المنقذ الوحيد لذاكرتي، كنت أخطو كأني طفل يتعلم الحبو، كنت سعيدة تتطاير روحي على أمل أن أتعثر بآثار قدميك.

لا أعلم لماذا أسير في هذا الطريق؟

ولا أعلم لماذا أنا سعيدة لهذه الدرجة؟

فتحتْ ذاكرتي أبوابها ورحت أتذكر عندما ولدت مشاعرنا لأول مرة، كان ذلك بالنسبة لي شيئًا غريبًا لم أتقبله في بداية الأمر، وكنت أنت سعيدًا بهذا الأمر، وقلت لي أحبك لأول مرة، كنت لا أعلم ما هو الحب حينذاك، ولكني سمعت صوت قلبي لأول مرة، كنت سعيدة وخائفة من المجهول.

سألت: هل ستحبني للأبد؟ قلت بكل ثقة: أجل.

خدعتني ثقتك تلك فصدقتها، وأتذكر عندما فاجأتني بهدية، وخطفت مني الحزن لترسم على وجهي الابتسامة.. كنت سعيدة حينذاك وتمنيت أن تقف الحياة في تلك اللحظة للأبد.

كنت أحاول أن أخفي الابتسامة ولكنها كانت تظهر رغمًا عني.. لقد أحببت هذه اللحظات.

اخترقتني بدخولك دون استئذان لتذهب وتستقر في قلبي، صدقت قلبك، ونسيت أن اسمه قلب لتقلُّبه، ولأنه ما من أحد يستقر فيه للأبد، ومع ذلك حصنتك بدعاء، ونسيت أن أحصن نفسي منك، وكيف أحصن نفسي وقلبك قد طردني؟!

ظننت أنك لن تتركني، وأنك تحبني بصدق، ولكن في أول امتحان للحياة تركت يدي لأغرق في الأحزان وحدي. أعلم أنك خشيت على نفسك من الغرق، ولكنك لم تحاول حتى إنقاذي.

أتذكر هذا كله الآن.

أتذكر عندما جئت لتقتلني ببعض كلماتك، حكمت عليّ بالإعدام وأنا لا أعلم ما هي جريمتي؟ هل يمكن أن تكون جريمتي أنني حصّنتك بالدعاء؟ أجل إنها جريمتي، ونسيت أن أتحصّن من الحب، أجل الحب هو المجرم الوحيد، لقد اختارك لتكون من أتباعه لتغتالني ببعض كلماته المزيفة.

"الحب الحقيقي.. إنني صادق.. أحبك للأبد"

كل هذه الكلمات انهارت أمام القلب.

ولأن القلب متقلب خدعنا نحن الاثنين، أوهمنا بصمته وطردني دون أن يستأذنك، أم أن طردي كان بموافقتك وعلمك؟ هل ساعدته في طردي أم وقفت كمتفرج فقط؟

أعلم أنك لست قاتلاً، ولكن الحب هو ما جعلنا نحن البشر مجرمين، وجرائمه تتكرر على مر العصور، ولكن نحن أغبياء لا نتعلم، بل ننتظره كأنه ملاك أو ضيف عزيز، وننسى أنه مجرم يغتال فجأة دون إنذار. أجل، لقد اغتالني عندما جئت بصوت متردد لتقول كلماتك التي قتلتني وأن علاقتنا قد انتهت.

لا أكذب عليك لقد ماتت مشاعري من فرط توهجها نحوك، وأنني أحتفظ بسر لا يمكنني أن أبوح به. تزاحمت الدموع في عيني كأنها شلال وضرخ قلبي من الألم: "لا تتركني أرجوك".. ومسحت ذاكرتي بعض كلماتك الموجعة في تلك اللحظة مثل "لقد انتهت علاقتنا"، وماتت مشاعري وتشبثت بالسر، ولكن ما هو هذا السر؟ سألته بوضوح ولم يجب، بل صمت، ولكن عقلي أجاب: أكيد هو يريد تركك لأنه مريض، أيمكن أن يكون مريضًا بالسرطان؟ هل مرضه خطير؟ هل سيموت قريبًا؟ إنه يحبك ولا يريدك أن تتألمي، وكان عقلي يتساءل: ما هو السر؟ وقلبي يصرخ ويقول: لا تتركني، وأنت صامت كالجبال كأنك تركت يدي من فوق جبل عالٍ لتنهشني التساؤلات: ما هو السر؟

انتظرتك كثيرًا حتى أصبحت وجبة شهية سهلة للانتظار تتغذي من روحي.. تعبت ومرضت وأنا أتساءل: ما هو السر؟

ضحكت من نفسي كثيرًا عندما علمت أن السر هو أن قلبك يتهيأ لاستقبال فتاة أخرى.

كم أنا غبية؟ لا.. إنه الحب الذي سرق عقلي وجعلني لعبة، يدخلني ويخرجني من قلبك دون أن أعلم.

أنا الآن لا أريد أن أسكن في قلبك، لقد دخلت ذاكرتي لأسكبك منها للأبد، وكيف لا أسكبك منها وقد أصبحت من المخلَّفات الضارة. لقد انتهى الطريق بطردك من ذاكرتي، وطرد ذكرياتك. أجل.. لقد نجحت أخيرًا.

طعنت الذكريات بسلاح النسيان فجاءتني الرسالة. لم أكن أتوقعها الآن، إنني في أول طريقي للنسيان.

لست ضد الحب يا عزيزتي، ولكني أحب انتشال ضحايا الحب. لقد هربوا من سجن الوحدة وأصبحوا ضحايا جريمة القاتل مثل المقتول في محكمة الحب، إن جرائم الحب أصبحت أكثر بشاعة في زمننا هذا. لا أعلم لماذا في هذا الزمن بالذات؟

هل الهروب من سجن الوحدة هو السبب الرئيسي؟

أم أننا أصبحنا فقراء إلى الاهتمام؟

أم أننا نرى باب الجنة في الحب فنسرع لفتح هذا الباب دون تفكير، وننسى أن الجنة ليست في هذه الحياة.

دعينا نناقش الموضوع.. اكتبي رسائل له لتعرفي لماذا وقعت في بئر الحب، ولكن لا ترسليها له، فقط اكتبيها كي ترممي نفسك داخليًا..

ادخلي إلى أعماق نفسك لتفتحي باب الحقيقة لنا.

أغلقت الهاتف ومسكت ورقة بيضاء:

أولاً: هل تركتني لأنك تخشى موتي حقًا؟ أم هي الحياة التي تآمرت علينا؟ أتفهم عندما سرقت بعض الكلمات من قلبك لتصارحني وأنت تقول: أنت لا تفهمين ما أمر به، حاولت كثيرًا أن أخدِّر الأفكار التي تهاجمني، خوفي من فقدانك كان أكثر ألمًا من فقدانك نفسه.

إنني في حالة يُرثى لها، فمنذ لقائنا الأول سقطت في بئر مظلم داخل أعماق نفسي، تُهت في ممراته، ولم أعد أستطيع الخروج أو أن أرى الضوء. قلبي يؤلمني، عندما تتألمين تأتي موجات تصدم قلبي فأزداد شوقًا فوق اشتياقي.. لقد أصبحت مجنونًا بحبك.

اقتربت من سرقة عقلي أيضًا.

أتذكر عندما سألتني: هل قلبك هو الذي يرسل موجات عندما تحتاجني؟ أتذكر عندما ضحكت وقلت: هل أنت مشغول لكي لا تستقبل موجاتي؟

ودغدغت فكرة الموجات عقلي فسافرت به لرحلة في زمن ليس ببعيد وتوقفت في محطة تذكرت بها مرض أبي وأنا لا أعلم، شعرت بضيق وانقباض في قلبي، وأحسست باشتياق إليه غير طبيعي.

هل يمكن أن يكون أبي قد أرسل لي موجات وأنه يحتاج أن يراني؟ لقد ذهبت حينها وعندما رأيت أبي مريضًا تساءلت في نفسي:

هل القلب يراسل محبوبه بلغة الموجات ونحن لا نعلم؟

أعلم أن العاشق يترك محبوبته خوفًا من فقدانها إذا تغلب الخوف عليه بداخله، وأعلم أن الحب معادلة غير عادلة في بعض الأحيان، ولكنني لا أعلم من يغذي حبك في قلبي أم أنه يتغذى على الفراق. أنا الآن أقف في المحطة التي كنت تخشى المرور بها، محطة الفراق.. لا يوجد بها قطار.

لقد هجرت نفسي لأستيقظ في محطة مهجورة، وسقطت الآن في بئر الأحزان.. أسمع هاتفًا باسمك، لا أعلم من ينادي عليك، أو من أين يأتي هذا الصوت، ولكن وضوح الصوت يزلزلني ويهزني من أعماقي.

تساءلت في نفسي من هول الفزع: هل يمكن أن يخرج القلب عن صمته فينادي عليك؟ إنني أكاد أجن من هذا الصوت الذي يشبه الرعد في داخلي.

كانت الكلمات تخرج مني كأنها تتحرر من قيد عبودية القلب، وكنت فرحة بتحريرها على ورقة براءتها، كانت تلتهم جروحي كأنها لم تتناول طعامها قط.. كنت أحيانًا أتوه في صفحات الذكريات كأنني ضللت الطريق لأتذكرك عندما قلت لي: لقد بدأتْ السعادة تهجرني منذ فترة، أنتِ السبب في هذا، وكيف لا تكونين السبب وأنا أشعر بطيفكِ وأنتِ تمرين دون أن أراكِ؟.

أصبحتِ ظلي الذي اختفى عندما التقينا، وجدتك تحتلين كل جوارحي مثل فيروس مدمر ظهر في بدايته، وبدا ضعيفًا حتى هاجمني بشراسة، أو مثل محتل قال في بداية الأمر إنه معك إلى أن احتل كل ما تملكين. حتى عقلي لم تتركيه، نلتِ منه. إنني أدرك أنكِ لست السبب، ولكن عندما أفكر في الوقوف في محطة الانتظار أشعر كأنني أنتظر شنقي.. هل تصارحينني؟ هل انتظار الموت أصعب أم الموت نفسه؟.

في كل ليلة تتحرر روحي لتتطاير في آلامك، وأعلم أنك كنت مريضة أو تمرين بظروف صعبة.

دعينا ننهي لقاءنا الأول بشنقي أولاً.

إنني أصارع الموت في كل لحظة.. دعينا نزوره لعله يكون أرحم من أن ننتظره ليصارعنا.. إنني أود أن أزوره بنفسي في هذه المرة.

في تلك الليلة كنت أستمع وأنا في طريقي للشنق معه، ياليت الموت حقًا يزورني، سأستقبله كأنه شخص غالٍ جدًا عندي وأضيّفه كما لم أضيّف أحدًا من قبل. كانت كلماته تنفذ من قلبي كالخناجر.

ولكني عندما أتذكر ذلك الآن أشعر كأنني جندي شجاع تسلل داخلي لنزع تلك الخناجر التي علقت بقلبي وسممته.

كانت الكتابة تأكل جروحي كأنها وجبة دسمة لم تتذوق حلاوتها من قبل، وكنت أشعر برضى لأنني أسترد نفسي التي سرقت مني.

أخذت نفسًا عميقًا وكتبت: الآن أنا لا أريدك، لست جبانة مثلك لأخاف من مصارعة الموت، لقد صارعت نفسي الآن وتغلبت عليها.

أنت لا تعلم كيف يصارع الإنسان نفسه. إنها حرب لم أكتشفها إلا متأخرًا. إنها حرب أقوى من حرب المحتل، لأنك لا تحارب إلا نفسك، ولا تملك فيها جنودًا يساعدونك، إلا إذا أزلت الغبار من داخلك ليظهر لك جندي شجاع اسمه "الإرادة"، وجنود لن تكتشفهم إلا عندما تفتح باب الحقيقة داخلك.. لقد أوقفتني الرسالة عن الكتابة لتظهر أمامي.

"ألا بذكر الله تطمئن القلوب" هذه الآية لم نسيتها؟ ضعيها على باب حجرتك، إنها مفتاح قلبك وعقلك لتدخلي وتنظفي كل ما علق بهما من قاذورات"

أجل كيف نسيتها؟ كيف نسيت القرآن؟ منذ متى وأنا لا أقرأ؟ هل وصلت لدرجة ألا أتذكر منذ متى لا أقرأ القرآن؟ عاهدت نفسي في تلك اللحظة ألا أترك القرآن، وبدأت أسأل أصدقائي عن دار لحفظ القرآن، ورحت أقرأ يوميًا وردًا أحسست معه براحة، ولكني أتساءل: لماذا انقطع عن إرسال الرسائل؟ منذ أسبوع وأنا أنتظر كل يوم على أمل أن تصل لي رسالة منه. أحسست أنني أدمنت رسائله، وفجأة ظهرت رسالة، وعندها كدت أقفز من الفرح، ولكني تمالكت نفسي وفتحت الرسالة بسرعة البرق.

"أيتها الفراشة المضيئة اسمحي لي أن أقول لك هذا..

لا تبحثي عمن أكون أنا؟ ابحثي من أنتِ؟ من تكونين؟

عار على الإنسان ألا يعرف من يكون هو.. اكتشفي نفسك.

توقفي عن معرفة كل الأشياء التي لا تنفعك.. لا تقيدي عقلك بأفكار مشوهة فتدمره للأبد.. ولا تكوني مهندسًا معماريًا فاشلاً فتبني قلبك من مادة شفافة سهلة الكسر، تنفذ اليها الأمواج الضارة التي يرسلها المراهقون.. كوني

صلبة أطلقي سراح عقلك ليكتشف بنفسه هذا العالم.. لا تكوني وصية على أعضائك، فأنتِ لا تعلمين ما هو المفيد، وما هو الضار عندما تقررين مشاهدة فيلم ما.

لقد فرضتِ الوصاية على عينيكِ لتشاهدان، ثم على عقلكِ ليتغذى على هذا الفيلم، ثم على قلبك ليتمنى أن يحصل على بطل الفيلم فيسهل اختراق أي شاب إليه، لقد فرضتِ الوصاية لتتحكمي بهم جميعًا.. عيناكِ ليستا ملكًا لكِ لتتحكمي فيما يشاهدان؟ دعيهما يشاهدان ما يحلو لهما.. عقلكِ ليس عبدًا لكِ، دعيه يرى كل الأفكار ليبني هو بنفسه فكره واعتقاده"

أغلقت الهاتف وأطلقت سراح فكري.. أحسست أنني كنت سجينة الحب.. شعرت أن عقلي مثل الأرض.. أنا أتخبط في الأفكار الخاطئة.. صدقت أيها المرسل.. لماذا أنا لست قوية؟؟ لماذا تفكيري محدود هكذا؟ لماذا أنا ضعيفة هكذا؟

هل الضعفاء لا يعيشون أحرارًا؟ منذ أن أصبحت ضعيفة وتحكم فيّ الحب أصبحت سجينة باسم الحب، ووجدت نفسي فارغة داخليًا، كل الأفكار التي بنيتها ليس لها معنى، توقفت داخل أعماقي وقلت: لن أستسلم، ولن أكون ضعيفة، ولكن من أنت أيها المرسل؟

ينتابني الفضول من أنت؟ وكيف تعرفني؟ إنك تعرفني أكثر من نفسي.. لقد ظهرت الرسالة مكتوب أعلاها "الرسالة الأخيرة"، فتحتها بحزن وأمل..

"إذا بحثتِ من أنا خارج عالمك فلن تلتقي بي.

ابحثي من أنا داخل أعماقك.. أنا صوت داخلك، لا أرتدي اسمًا زاهيًا ليلفت انتباهك، لقد ظهرت بشخصيتي لأطلق رصاصة كلمتي لكِ.. أنا الخير الناصح دائمًا، أحاول أن أتحدث ولكنك تقتلينني دون أن تعلمي أن مبادئك الرثة

البالية ملابس تمجدينها وأنتِ عمياء لا تشاهدين كم هي قديمة وبها خروقات لا تفيد حتى لمسح أرضية منزل.

وكنت أتفادى طعنتك تلك كل مرة.. لقد كنت أريد أن أخرج ليكون لي تمجيد عندك.. أنا لا أطمع إلا أن أكون مؤشرًا لطريقك.

دعينا من العتاب فنحن أصدقاء منذ ولادتك. الله سبحانه وتعالى خلقك وأنا بداخلك لأنصحك، كنتِ لا تسمعينني إذا تكلمت لأنك لا تملكين أذنين داخليتين أو عينين، ولما تمنيت من الله سبحان وتعالى التقرب منكِ، ظهرتُ وارتفع صوتي، وأخذتْ الرسائل في هاتفكِ تظهر، وسمعت أنتِ دقات هاتف ليس بأذنيك هاتين، بل إنك سمعتها في داخلك، ورأيت هذه الرسائل داخلك.

أعرف أنه جنون بالنسبة لك، ولكن الحقيقة أنك أزلت الغبار الداخلي حتى ظهرت لأنصحك في وقت كنا فيه سنموت معًا للأبد. إنها فعلاً الرسالة الأخيرة لأننا تصالحنا، ولن أحتاج بعد الآن أن أبعث رسائل لأننا سنتقابل دائمًا في أعماقك، وسأكون مؤشرًا لطريقك".

شجار مع الضمير

في لحظة اختفت روحي لتتوه في ظلمة الجسد، حينما أعصر الذاكرة لا أتذكر ماذا حدث؟ لا شيء غير أنني شعرت بدوار خفيف، وفجأة سقطت في ظلمة النفس، سلموني كهدية للمستشفى، يراقبون جهازًا طبيًا، وقد بدا عليهم القلق.

أيادٍ تحرك جسدي كأنهم تسلموا حق الملكية، أحيانًا أصرخ بأن يوقفوا هذه المسرحية، ويعيدوا لي جسدي، لكن بلا جدوى، إنهم لا يسمعوني، لقد أدركت أن صوتي لا يصدر ذبذبات تنتقل إليهم. لقد فزعت من منظري وأنا ممدد على فراش متصل بالأسلاك، ورسمت على وجوه من حولي لوحة تدل على الفزع والرعب، إذ كانت روحي تتأرجح في ممرات جسدي لتستعد إلى الخروج. كيف تتركني بدون إنذار سابق؟ ألهذا أرسلت إشارات وأنا لا أفهمها؟

ألهذا وجع الصدر هو إشارة؟ لا.. لا.

أشعر بأن روحي تنسحب من الجسد.. هل أنا حقًا سأموت؟ لا..

كنت في حياتي غبيًا وأحمق، لا أتصور كيف انتهت حياتي بتلك السرعة.

سارة لا تبكي يا حبيبتي.. هل تسمعينني.

أتمنى يا ابنتي الحبيبة أن تقرضني الحياة فرصة لأقتل الخوف.

إنني خنت نفسي عندما سمحت له بالدخول.

يؤسفني يا عزيزتي أن أتعرى من كل ما ارتديته ولم أملكه. إنني أحمق ولست شجاعًا، كيف أكون شجاعًا وعندما ظهر لي لم أواجهه..

هربت منه مثل اللص تمامًا..

قابلته كثيرًا، لا أتذكر ملامحه، كان يرتدي ثوب الشجاعة، تمنيت أن أرتديه ليوم واحد..

إنه الخوف يا ابنتي يلزمنا أن نعكس طريقنا..

يلزمنا أن نقتل أنفسنا.. لا شيء غيره يرعبني.. إنه آفة المجتمع.

لا أعلم متى قتلت نفسي؟ لأعيش حياتي مثل الميت.

لا تستهيني بالخوف يا ابنتي.. إننا نتغذى عليه حتى أصبح يقودنا، وأصبحنا معه مثل الدمية تمامًا.

لا أعلم كيف أقتل الخوف؟ إنه سم تأكله معظم الشعوب. لقد حاولت ألا أسقيكِ من هذا السم اللعين، ولكن سامحيني، إنه المجتمع يسقينا منه.

لا أستطيع أن أحميكِ منه..

كيف السبيل لهذا يا حبيبتي؟؟ إنني أتساءل.

كيف السبيل لأن أحميكِ؟

أشعر أنكِ جوهرة، ولا أريد أن تتلوث، أعلم يا عزيزتي أنكِ إذا سمعتِني ستقولين إنني أبالغ بعض الشيء، ولكنك لا تعلمين خطر الخوف.

أشعر أنني أغرق، ولا أستطيع التنفس.

كيف لي أن أتنفس وحياتي سوف تنتهي للأبد؟

حقًا كنت غبيًا وأحمق في حياتي.

صحيح لقد فتحت دفترك يا صغيرتي وقرأت مخاوفك عندما كتبتِ بيديكِ الصغيرتين.

أريد أن أكتشف نفسي بالكتابة، وأن أفتح أبوابًا مغلقة في نفسي. إن ما يخيفني حقًا هو أن تهاجمني الحياة بفقدان أبي أو فقدان أمي وأكون وحيدة.

أفزعتني كلمة "أخاف" أكثر من موتي.. كيف أنزع منك هذا الخوف؟ كيف السبيل لقتله؟ كيف تسلل إلى قلبك الصغير؟ كيف يا حبيبتي؟

ابنتي العزيزة أعلم ما كتبتِ.

خبأت نفسي بين حروف الفرح، وأتمنى أن ينساني الشقاء، وألا يطردني الفرح من بيته للأبد.

اعذريني يا صغيرتي عندما ضحكت من جملتك الطفولية.

عندما أتذكر ذلك الآن أشعر أنني كنت أحمق وأنت من كان على صواب.

ولكن الحياة هكذا.. لا يمكن للفرح أن يظل قائمًا في بيتكِ.. ولا يمكن كذلك للشقاء ألا يزورك. إنها معادلة ثابتة في الحياة.

وأتذكر عندما قرأت في دفترك الصغير.

إن ضميري يؤنبني..

إنني حزينة حقًا.

لماذا كل هذا الحزن موجود في قلبي؟

لقد احتل قلبي عندما ضحكت مع زملائي على هشام.

لماذا ضحكت؟ لا ذنب له في أن ينطق بعض الحروف بشكل خاطئ.

نظر لي نظرة قتلتني..

ما هو الضمير يا أبي؟

سؤالك هو الذي قتلني بالفعل يا صغيرتي.

ما هو الضمير؟

كيف أجيب على سؤال أخشاه؟

أيعقل أن أقول إنني قتلت ضميري أو خدَّرته؟

لا أخفي عليكِ يا صغيرتي أنني سيئ لأقتل ملاكًا.

أجل يا صغيرتي إن الضمير مثل الملاك بداخلنا.

سأجيب يا صغيرتي على سؤالك..

سأقول مثلاً يناسب عقلك الطفولي يا صغيرتي..

إنه مثل جرس المنبه، عندما نخطئ يدق بأعلى صوته، ولا يسمح لك بأن تسمعي غير دقاته، ويهاجم قلبك ليزرع فيه الحزن، وإذا أوقفتِ منبه الضمير ببعض كلمات في داخلك مثل قولكِ: "إنني على صواب.. إنني كنت مجبرة

على أن أفعل هذا فإنه يتوقف، ولكن عندما تأخذك الحياة في ممراتها وتستيقظين على خطأ أكبر يدق جرس الضمير بصوت منخفض عن السابق كأنك بالفعل طعنت هذا الملاك في قلبه، بل إنه من الممكن أن يموت بالفعل يا صغيرتي، ولكن ببطء. إنه يحتاج بعض الطعنات منكِ لكي يموت.

إنني فعلت هذا يا صغيرتي.. إنني قاتل مجرم لا أستحق أن أكون أبًا لطفلة تتساءل ما هو الضمير، في حين نجد أباها يقتل هذا الضمير دون رحمة. إنني حقًا قاتل مجرم سيئ للغاية، أحمق وغبي لأقتل ملاكًا هكذا.

ولكن أيمكن للندم أن يوقظ الضمير؟ أجل يا صغيرتي.. الندم علاج الضمير الوحيد، أو قولي إنه غذاء الضمير الوحيد، غذاء هذا الملاك يا صغيرتي كان ندمكِ على أنكِ ضحكتِ على زميلكِ، هذا يعني أنكِ تغذي هذا الملاك الطيب، إنني فخور بك يا حبيبتي.

لقد استولى الخوف يا ابنتي على قلبي، لقد جعلني حقًا أسلك الطريق الخطأ، وكان عليّ في المقابل أن أضحي بالضمير وأقتله بلا رحمة عندما ظهر لي في بداية الطريق.. لقد طعنته دون رحمة، إنه خوفي من الفقر وخوفي عليك يا حبيبتي.. ماذا إذا مرضتِ؟ كيف أترك الحياة تتحكم بكِ؟ أوهمت نفسي بأنه لا بد من أن أسلك الطريق الخطأ، وأنني على صواب.

يؤسفني يا حبيبتي أن أقول إن أباكِ كان فقيرًا، لا.. لست فقيرًا يا حبيبتي، فالفقر هو ألا نملك شيئًا، ونحن كنا نملك منزلاً صغيرًا، ومع ذلك كنت لا أملك أن أمد منزلنا دائمًا بالأطعمة الشهية، بل كنت أحيانًا لا أملك المال لأحضر بعض الأرغفة.

كنت أرى تذمر زوجتي في بعض الأحيان، لا.. إنني أكذب، إنها يا ابنتي ليست السبب، بل أنا من كنت أحاول أن أجعلها هي السبب، ولكنها يا حبيبتي كانت تقول دائمًا "الحمد لله"، ولكني رأيت الحزن يتدفق في عينيها.. أجل يا صغيرتي عندما شعرت أنها حامل فيك خيَّم عليها الحزن، خطفها الحزن مني،

وكنت عاجزًا، أكره عجزي هذا، ولكن لم يرحمها الحزن، حمَّلها بأثقال الهم. كنت أسمع صوتها عندما تتساءل في نفسها: كيف سيولد هذا الطفل؟ نحن نحتاج بعض المال لنذهب للمشفى، وعندما يكبر ماذا سيأكل؟ إننا لا نهتم إذا لم نأكل لمدة يومين، ولكن هو طفل لا يتحمل، سيلقى حتفه حتمًا. لا أعلم هل كان هذا صوتها أم صوتي؟ لقد كنت عاجزًا حقًا.

لقد أحضر لي القدر فرصة ذهبية.. لا، بل كانت امتحان الحياة، أجل يا صغيرتي إنني دون أن أفكر فشلت، لكن ملاك الضمير ظهر ليوقفني، تشاجرنا سويًا، ولكنني طعنته، كيف لا أطعنه وأنا أكره عجزي، هذا الفقر يا حبيبتي هو الفيروس المدمر للمجتمع، هو الآفة التي تحطيم آمال المجتمع، بل هو مجرم يغتال عقل الإنسان. كيف لا يكون مجرمًا وهو من يجرد الإنسان من عقله. عشت حياتي بلا تفكير، أحسست أنني سجين بلا حرية، ما هي الحرية يا صغيرتي؟ هل من الممكن أن تجيبيني؟

الحرية هي ألا أكون مقيدًا، وأنا بالفعل مقيد.

ألا أكون سجينًا، وأنا بالفعل سجين نفسي.

ألا أحلم بمستقبل أفضل، وأنا بالفعل لا أستطيع أن أحلم، غير أن اليوم يسرقني، إنني يا صغيرتي في سجن نفسي.

لقد تمنيت أن أخرج من هذا السجن اللعين، أن أتحرر من نفسي، ومن أفكاري المشوهة، ومن لص الفقر الذي يسرق حياتي.

هل أخطأت عندما طعنت ضميري لأتحرر؟

لكن يا حبيبتي أنا أعتقد- وهذه هي الحقيقة- أنني سجنت نفسي في شخص آخر لا أعرفه، شخص لا يملك الضمير، بل يملك بعض المبادئ الرثة ليطعن الضمير بها.

لقد سجنت نفسي في شخص لا يعلم ما هي الرحمة، وما هو الحب، وما هو التقدير والاحترام، وما هي السعادة.

لقد تغيرتُ يا حبيبتي، ولم أعد أباكِ الذي عرفتِه طوال حياتك.

لقد اغتاله الفقر والخوف، تآمرا عليه ليفقد حياته، في مقابل هذا كسبتِ حياةً أفضل، وتنحى الفقر عنك.

عندما قرأت في دفترك الصغير قولك: "يا ليتني لا أملك مثل هذا المنزل، ولا مثل هذه الحياة، وأملك بدلاً منه أبي الذي سرقه مني المال".. كنت سأجن في هذه اللحظة.

لا، لم يسرقني المال يا ابنتي، إنما سرقني خوفي عليكِ، خوفي أن تكوني سجينه داخل أعماق نفسك، وألا تتذوقي الحرية.

كنت أريدكِ أن تخرجي من سجن نفسكِ، وتقتلي جنود الخوف والفقر إنهم أخطر أنواع الجنود في تاريخ عبودية الإنسانية.

كفى تذمرًا يا ابنتي، إنني على حق، لقد حررتك من العبودية، ومن نفسك.

أتذكر عندما قرأتُ في دفتركِ قولك: "أبي ارتديت معطفًا أسود حدادًا عليكَ، حدادًا على أفعالكَ، على تصرفاتك، حدادًا على خوفي عليكَ، لا أعلم لماذا خيَّم الحزن على قلبي وخطفني الصمت منك عندما سألتني: ماذا بك يا حبيبتي".

صمت، وكان الصمت يخدعني، يسرق الحروف من فمي والكلمات من عقلي، كنت في حالة موت مؤقت أو غيبوبة، لا أعلم ما كنت عليه، كنت مخدرة جامدة أمامك كأنني لوح خشبي ينتظر منقذه ليحركه.. وفتحت باب عيني للدموع ففاضت.

ماذا أقول لك؟ لا شيء غير أنني أشتاق لأمي، أمي التي ماتت قبل أعوام، قبل أيام، قبل ساعات، هكذا كانت حالتي، أضحى العام عندي مثل اليوم، مثل الساعة، إنها الحقيقة التي أخفيتها عنك وعن عينيّ اللتين تذرفان الدموع، وكل قطرة تسيل منهما تنادي مستغيثة، فمن ينقذها غيرك يا أبي؟ فبكلمة منك تستطيع أن تمحو ذلك الحزن المستكين في قلبي.

قل إنك بخير وأنك لن تبيع ضميرك أبدًا.. أشعر أنك تغرق، تصرفاتك مشتتة، أحيانًا تغضب وتصرخ من غير سبب واضح.

أجل يا أبي لست عمياء كي لا أرى الحقيقة، إنك تخون نفسك.. عندما أنظر إليك أرى الندم والإصرار.. لماذا الندم؟ هل أخطأت؟.. لماذا الإصرار؟ ستكمل حياتك هكذا بدون ضمير.. تظن صمتك يخدعني، لا، لا إنه كاشف الحقيقة.. تآمر ضدك يا أبي ليقول لي إنك لست بخير يا أبي، وأرى الحزن يلازم عينيك لماذا الحزن؟

صارحني يا أبي، قل لي إنك بخير، قل لي إن ضميرك بخير.

ما أجملك يا ابنتي، إنك هدية الله لي، طوق نجاتي من نفسي، رسالتك تلك كانت من رسائل القدر لي، ولم أهتم، كنت أحمق حينذاك. سأجيب على مخاوفك، بل سأعترف بإجرامي بحق أمك.

إنني لست بخير يا حبيبتي.. ولماذا أكذب؟ إنني في حاوية الموت سأعترف لك لأول مرة في حياتي، أجل سأعترف، سأنبش ذاكرتي لأعترف لكِ بقذارتي وإجرامي، أنا الذي دفعت زوجتي بجنوني حتى سقطت على حافة السرير، واصطدم رأسها بقوة شيطانية.. لم أكن أنا، إنه الشيطان، تملّكني، حرَّك يدي ليقذف بزوجتي البريئة الطاهرة إلى حاوية الموت المحتوم، ولكن القدر سامحني على إجرامي، بل أعطاني فرصة ذهبية فلم تمت أمك حينذاك، أجل إنها لم تمت، ولم أتوب، ولم أندم، كيف أندم وأحد أصدقائي رآها مع أختي

ومعهما رجل غريب، لقد جن جنوني عندما قال لي: زوجتك وأختك في السوق ومعهما رجل.

سرق عقلي الشيطان، كنت غبيًا وأحمق، لا أعلم كيف أتصرف؟ كيف أتحدث؟ كنت لا أسمع غير وساوس الشيطان، وتساؤلات دمرت عقلي.. منذ متى تخونني زوجتي؟.. هل الرجل حبيب زوجتي أم أختي؟؟؟

ذهبت لأسأل أختي، إنها لا تكذب عليّ.. ولماذا تكذب؟ لا يوجد ما تخشاه، أنا أخوها، سأتفهم الأمر إذا كانت تحبه.. لكن زوجتي سيخطفها الخوف لتكذب.

ذهبت بعقل ميت لأسأل أختي الحبيبة لِم تكذب عليّ؟.. أجل لِم تكذب؟

ردت بيقين:

أجل إنه حبيب زوجتك القديم، جاء خصيصًا لها.

نزل ردها على أذنيّ كالصاعقة، بل لم أشعر بجسدي، أحسست بأن الدنيا بدأت تغيم في وجهي، وقلبي أخذ يتمزق من فرط الألم والحسرة.

لم تزرني الغيرة بقدر ما ملأ قلبي الألم والحسرة، لم أفكر، ولم أسأل، بل حرمت زوجتي من أقل حقوقها أن أسألها.. مزقت جسدها كما مزقت قلبي.. حقدي عليها كان يدفعها للموت، ولكن لم تمت، ولم تسأل ما هو ذنبي؟؟.. بل وقفت مذهولة، أعتقد أنها كانت تظن نفسها في كابوس.. كانت صامتة كالجبال.. صمتها أخافني.. أرعبني.. فتش في داخلي عن شعاع الضمير الذي مات ولم يوقظه.

فجأة ظهرت ملامح الألم على وجهها البريء الطاهر، ولكنني لم أهتم، كنت كالوحش الذي صاد فريسته توًا لينقض عليها. بالأمر لا يوجد خروج من

البيت بعد الآن.. بعد الآن لا توجد مكالمات في الهاتف.. بعد الآن لا يوجد.. بعد الآن لا يوجد..

بعد الآن وإلى الأبد..

مزقت نفسي ظنًا أنني مزقت زوجتي، دخلت في باب معتم ومخيف داخل نفسي، وبدأت تتألم وتشكو، وأنا في غرفة موحشة داخل أعماق نفسي ينهشني الألم والحسرة.

أصرت أن توضح الأمر فراحت تقول بصوت مخنوق مليء بالحسرة والألم: أنا بريئة، صدقني. وكنت أصمت بسخرية تتبعها نظرات حادة تقتلها بدون سلاح، وبدأت صحتها تتدهور، وراحت تشكو من عينيها ومن صداع دائم. ذهبت بها إلى الطبيب من أجلك يا حبيبتي، كنتِ صغيرة حينذاك، ليس من أجلها، فقد كانت تستحق الموت.

قال الطبيب بصوتٍ حاد يوجه اتهامه إليّ، ونظر إليّ نظرة أخذ بها اعترافي بدون صوت، وبدون كلام، كأن الصمت هو الذي تحدث هذه المرة.

من فعل هذا؟؟ .. إنه إجرام حقًا.. سأخبر الشرطة.

قاطعته زوجتي، ولتقطع حبل نظراته لي قالت له: لقد وقعت على حافة السرير وحدي.. شعرت بدوار فجأة، ثم سقطت.

قال الطبيب: أنا لا أعلم كيف وقعتِ بتلك القوة، ولكن المرة القادمة احذري ستميتك هذه القوة الشيطانية..

لقد أخذ اعترافي مني فكيف يصدقها؟ قال بلهجة حادة: سقوطك كان قويًا إلى حد أنه أنزل مياهًا من رأسك إلى عينيك فيجب عمل عملية في عينيك.. سأحولك لمستشفى عيون لتجري هذه العملية.

قالت بصوت حزين: أين المال؟ إننا فقراء.

نظرت إليها نظرة لتتوقف عن تسولها هذا.. لم يشفع لها أنها جردتني من جريمتي أمام الطبيب، وكيف لا تجردني؟ إنها السبب وراء دفعي لفعل هذا.

قال الطبيب: لا تخافي، إنها مجانًا، سيأخذ منك الطبيب الذي سيجري العملية أجرًا رمزيًا فقط.

تبسمت ابتسامة فيها ألم وحسرة، لم أفهم هذه مغزى هذه الابتسامة، كانت بالنسبة لي لغزًا محيِّرًا.

كيف أفهمها وأنا السبب؟

وكما توقعت.. ظهر خطأ الأطباء في العملية، وخطف منها البسمة إلى الأبد.

صمتت وهي لا تجيد غير الصمت، ماذا تفعل وكل العالم تآمر ضدها؟.. أختي وأنا، حتى أطباء العيون. في هذه اللحظة أحسست أنها يتيمة، وأنني مت بالنسبة لها، وكيف لا أموت وأنا لم آخذ حقها من الأطباء؟ وكيف آخذ حقها من الأطباء وأنا لم آخذ حقها من نفسي أولاً.

كنت صامتًا، وماذا أقول؟ إنها إرادة الرب.. وهل تريد أن أعترض على إرادة الرب؟ وكانت هي أيضًا صامتة، حمدت الله أنها ترى بالنظارة.. أعلم أنها لا ترى بوضوح، ولكنها ترى على أية حال وهذا يكفي.

لا أعلم كيف تحملت أمك هذه المعاناة كلها ولم تفكر في تركك؟!! عاشت حياتها مثل الميتة، وانطفأت البسمة في وجهها، وانفرد بها الألم لتكون فريسته.

لم أفكر أن أرجع البسمة لوجهها، كنت أتلذذ بألمها، بالفعل جردت مني الرحمة والإنسانية، هي لم تتجرد، أنا الذي تخليت عنها عندما تخليت عن ضميري، إنها معادلة الحياة.

الضمير يساوي كل المبادئ: الرحمة، والطيبة، والإنسانية.

في وسط ركود حياتنا الميتة ظهر الرجل يريد التقدم لخطبة أختي، قلت بذهول: ماذا؟؟ إنك حبيب زوجتي أيها النذل، وتتقدم لأختي سأقتلك.. قال بهدوء، إنني لم أر زوجتك غير يوم واحد، خرجنا أنا وحبيبتي وكانت ترافقنا زوجتك.. ماذا؟؟ كنت سأجن بالفعل!!.. ماذا تقول؟.. أرجوك لا تقل إنني أخذت الطعنة من أختي، صدقت كلامها كأنه منزلٌ من عند الله سبحانه وتعالى.. وماذا أفعل بها؟؟ إنها أختي؟ توقف عقلي عن التفكير.. وماذا أفعل؟؟

ظهر الضمير كأنه وحش سيقتلني. ذهبت إلى زوجتي البريئة وقلت لها: أنا آسف، سامحيني، وصمتت كعادتها كأن الصمت لباسها الوحيد.. وماذا كنت أعتقد؟ أن تقول سامحتك بعد كل آلامها هذه؟!. هل سيرجع لها نظرها؟؟ اكتفت بالصمت، وراحت تنظر لي نظرة ساخرة، كانت النظرة كدلوٍ سكبت عليّ به كل آلامها وحزنها، فأيقظت الضمير أكثر، ولازمني الحزن أكثر، يا ليتني لم أذهب، ولم أقل لها إني آسف.

عدت مثل الميت تمامًا، لم أتحدث إلى أحد، كنت في صراع مع الضمير. حاولت أن أخدِّر الضمير، إنها إرادة الرب؟ فلا ذنب لي.. إن أختي هي المخطئة.. وأيضًا هي السبب، لماذا خرجتْ مع أختي؟ ذهبت لأسألها، ولم يكن سؤالاً، بل كان أتهامًا ليرفع عن ضميري الذنب، فقالت إنها أختك، ذهبت لأصبح صديقتها، ويا ليتني لم أذهب.. ذهبت لأحافظ على البيت، ولم أعلم أنه مقبرة الأحياء. إنني أتحمل العيش معك لأجل ابنتي، لأجل ابنتي فقط..

كانت أمك تغوص في أعماقي لتؤلمني، كرهت حديثها وصمتها. نظراتها أصبحت دواءً لضميري تنشطه، وأصبحت مجرمًا لأهرب من سجن صمتها. لم أملك غير سلاح الغضب لأدافع به عن نفسي أمامها. عندما كانت تشكو كنت أصرخ فيها وأقول: تملكك المرض وأنت استسلمتِ له، إنه وهم أصبح فيك، توهمين نفسك كثيرًا بالصداع، وأنك مريضة، أم تقصدين أنني السبب؟

تريدين أن تقولي هذا، أنني أنا السبب في مرضك، نسيتِ أنها إرادة الرب، أنا لا أريد أن أسمع صوت شكواكِ. إذا استسلمتِ لمرضك فلا أريدك أن تكوني في منزلي، اذهبي لمنزل أهلك، أنت تمجدين الوهم الذي يذوب فيك، وأصبحتِ تعبدينه ونسيتِ الله، كيف لا تقولي "الحمد لله"؟.

اذهبي إلى منزل أهلك واتركي ابنتي..

كانت كلمة "اتركي ابنتي" تفزعها فتصمت حتى أصبحت تخفي ألمها، وكنت فرحًا بهذا الإنجاز. أعلم أنني ظلمت أمك كثيرًا، ولكن الضمير قادني أن أفعل هذا. أعلم أن حديثي يؤلمها وينهش قلبها، ولكن ضميري أصبح يتغذى على ألمها ليتوهج وينهش قلبي ليحزنني. كان لا بد أن أطفئ ألمها وأن أخفيه ليختفي ضميري معه.. أخافني المرض كثيرًا، أرعبني الموت أكثر، كنت أستغرب أن أمك لا تخاف المرض أو الموت بقدر ما تتألم!! أكان لا بد أن أتألم مثل أمك لكي أعتاد المرض ولا أخاف الموت؟؟ أم كان لا بد ألا أرتكب كثيرًا من الحماقات لأخدِّر ضميري؟؟ أفزعتني كتاباتك عندما قرأتها وأنتِ تتساءلين:

ما هو السهم القاتل يا أبي؟

أبي لقد بدأت أخدِّر ضميري، لكنها الحياة هي التي أجبرتني. أجل يا أبي كيف لا تجبرني وهي التي طعنتني بالسهم القاتل؟ كدت أموت لكني انتقمت.. أجل انتقمت. قالت زميلتي في الدراسة بصوت يدل على السخرية:

اصمتي.. أنتِ لا تفهمين شيئًا؟

صفعتني كلماتها تلك..

قالت ذلك وسط أصدقائنا، أحسست أنها طعنت قلبي بخنجر مسموم، لكني أخذت الطعنة في صمت موجع بألم موحش في قلبي. كنت أريد أن أتحدث

ببعض الكلمات لأشعر أنني أشاركهم الحديث.. ولكنها ألبستني رداء الصمت الموحش يا أبي.

هل كانت تعلم أنها ألحقت الأذى والألم بقلبي؟

هل تقصد أن تهينني أمام أصدقائي؟

أم أنها تغار مني؟

أم أنني حقًا لا أفهم شيئًا؟

إن ثقتي في نفسي بدأت تنكمش.

لماذا العالم سيئ هكذا يا أبي؟ إنني حقًا مصدومة، إنه عالم سيئ للغاية.. ولكنني لن ارتدي الصمت ثانيةً، سأنتقم، أجل يا أبي سأنتقم.

أشعلت شرارة غضبي لأخدِّر الضمير سأسقيها من نفس الكأس، سأطعنها بنفس السهم، سأطلق رصاص كلماتي عليها لتتألم كما تألمت.

أصبحت مقبرة لدفن جثث الكلمات التي ألحقت بي جروحًا بالغة في العمق. كنت أنزف داخليًا، ولا أحد يشعر بي، كانت نفسي تحتضر يا أبي وأنا واقفة صامتة كورقة تتطاير، ولا تعلم متى ستهوي على الأرض طريحة كالأموات.

قُتِلت يا أبي وأنا على قيد الحياة، تمزقت نفسيًا، كيف لهذا النوع من القتل ألا يعرفه القانون ولا يعاقب عليه؟! إنه يؤذي يا أبي، ويؤلم ويقتل، وأنت في المقابل تصمت.

هذا ليس عدلاً يا أبي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت". رداء الصمت كان يجب أن ترتديه هي لا أنا.

كان قلبي يحترق حقدًا عليها، لا أتذكر ماذا حل بي في هذا اليوم، كأن ذاكرتي اعتذرت عن العمل، وسجنت نفسي داخل غرفتي يومًا كاملاً وأنا أتألم جراء الجروح النفسية.

بعض الكلمات تملك سنون السهام، وحِدَّة السكين.. في اليوم التالي كنت أشعر بخوف وتردد أن أقابلها، ولكني أخذت القرار سأقتلها بالكلمات كما فعلت، سأقول لها يا غبية، أجل، إنها غبية، سأقول لها يا غبية وسط زملائنا، ولكني عندما قابلتها صمتُ كأن لم يحدث شيء، كأن بركان الغضب انفجر في قلبي، ولم يتبق شيء لينفجر في حديثي معها.

كانت تنظر إليّ نظرات لتستفزني، وتغمز وتضحك وهي تنظر لصديقتها فتضحك معها.. كنت أسمع ضحكاتها في غرفتي، وفي منامي أشعر أنها تحاصرني، أصبحت كابوسًا بالنسبة لي.. هل هدفها يا أبي أن أصبح مريضة نفسيًا؟

أم تريد أن تقتل ثقتي في نفسي؟

التعامل هو نصف علاج المرض النفسي.. وهو أيضًا سبب المرض النفسي ذاته.

أتساءل: لماذا أصبحت هكذا؟؟ لن تصدق يا أبي فأحيانًا أشفق عليها. أتظن أن أمها كانت تعاملها بقسوة أم أنها كانت تدللها؟؟ يقول الله تعالى في كتابه الكريم: "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ".

أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتعامل الحسن، فهو الذي يمتص الغضب، وعندها يصبح العدو صديقًا، لذلك سأعاملها كما أمرني الله يا أبي، ولن أبيع ضميري، سأتصالح مع نفسي لأن الغضب يقودني لأن أمرض نفسيًا، وهو من صفات إبليس والعياذ بالله.

يا ابنتي إنني فخور بك حقًا كونك ابنتي. لقد قرأت أيضًا في دفترك صراعًا في عتمة النفس، لا أعلم لماذا كنت سعيدًا وأنا أقرأ هذه القصة، ولا أعلم هل هي قصتك أم لا؟

ولكنني أعلم أنني مطمئن عليكِ.. أرجوكِ لا تبكي يا حبيبتي، جففي دموعك، وكوني أنتِ. لم يعد يفزعني جسدي وأنا أراه ممددًا ومتصلاً بالأسلاك، أنا الآن أراه حياتي أمام عيني. كنت جبانًا في حياتي أتطاير فوقك يا حبيبتي، وأسمع تفكيرك وأنت خائفة كونك وحيدة.

لا تخافي يا حبيبتي، لم تمت روحي. إنني أراكِ وأسمع صوت بكائك، فالذي مات هو النفس التي تأمرني بالسوء.

إنني غبي إذ تغلبت عليّ النفس، وأمرتني بالسوء، وكنت مطيعًا لها، عشت حياتي في غباء تام، أتذكر الآن، أتذكر يااااللهول يالله يالله، أتذكر كل العهود التي قطعتها أمام الله قبل دخولي في الجسد، إنني خاسر خاسر خاااااااااسر.. اضحكي يا ابنتي على أبيك الغبي الخاسر لااااااا لااااااااااااااااااا ابكي اصرخي إنني خاااسر أمام حرب النفس وحرب الشيطان.

الخاتمة

وجدت نفسي أتساءل: لماذا أنا إنسان؟؟ لماذا لم أكن حشرة أو طائرًا أو حتى حيوانًا؟

دعوني أتساءل بكل وضوح: لماذا أنا إنسان؟ أعلم أنكم لا تطرحون مثل هذه الأسئلة على أنفسكم.. أريد أن تخرج أرواحنا لنتحدث قليلاً.

دعوني أفتح أبواب قلوبكم لأثرثر معها. أعلم أن هذا ليس حقًا لي، ولكن من حقي الاستئذان.. لماذا أنا إنسان؟

الإنسان هو روح نقي، وقلب صادق. أتمنى أن أجد نفسي إنسانًا كما خلقه الله، ولكن الإنسان في هذا الزمن يحتضر، وتنكمش معه المبادئ والأخلاق، وتموت معه الرحمة والإنسانية، التي أتساءل عنها: لماذا أنا إنسان؟

يجذبني الضوء، ويخيفني الظلام. لقد أصبح الظلام يحتل الإنسانية بسلاح الجهل، وأصبحنا نستخدم سلاح الجهل بجهل أكبر.

وعندما نسيت أنني إنسان دمرت نفسي داخليًا، واستخدمت سلاح الجهل لتدمير مدينتي وبلدي ثم العالم.. لماذا لا نتوقف عن دمار أنفسنا؟

لماذا نسيت أنني إنسان، وتظاهرت أنني حيوان آكل وأشرب فقط، وطردت مبادئي، وقتلت الرحمة، ووضعت في قاموسي" **كن ذئبًا قبل أن تأكلك الذئاب**"؟.. لماذا أكون حيوانًا والله خلقني إنسانًا؟ لماذا لا أكون إنسانًا وأزرع الرحمة والإنسانية والمبادئ التي انطفأت في لتضيء من جديد، وأطرد الجهل الذي مجدناه، وأصبح يقودنا، وأصبحنا من رعاياه؟ لماذا نستسلم لملك الجهل؟ لماذا لا نقتله ونطرده من داخلنا؟ لماذا أصبحنا نمجده كأنه هو الضوء بعينه أم أصبحنا لا نرى غير الظلام؟

جئت لأتحدث معكم عن الإنسان قبل أن تلوثه الحياة، قبل أن يطعن ضميره، قبل أن تدمره الحياة ليقتل الرحمة وتنطفئ مبادئه..

جئت لأمجد قيمة الإنسان قبل أن يحتضر ما تبقى منه..

جئت لأحتفظ بمعنى الإنسان في محفظة الأدب بلسان عربي، ولأقتل السلبيات التي تحاصرنا.

لم أكن قاتلة في يوم ما، ولكن علمتني الحياة أن القتل في بعض الأحيان ليس جريمة، ولكن الجريمة الحقيقية أننا ننسى معنى الإنسان.

جئت لأختلي بالإنسان، وأغوص في أعماقه، وأفتش في دهاليزه لأستكشف معنى الإنسان الحقيقي.. جئت لأسلط الضوء على الضمير والنفس البشرية.. جئت لأفهم ما معنى الإنسان، ولكن وأنا أقرأ معكم اغفروا لي تسرعي، عنفواني، قلة خبرتي في فهم الإنسان.. جئت لأتحدث عن نفسي وعنكم، أجل أيها القارئ، عنكم، اغفروا لي هذا أيضًا.. جئت لأكتب، لأصرخ لأتكلم لأصب غضبي على الورق.. جئت ليسمعني قلمي، ولتغفر لي ورقتي تقصيري في كون أنني إنسان يحتضر.. جئت لأنقذ ما تبقى مني.. أعلم أنني فقيرة في فهم الإنسان، ولكنني جئت دون تفكير لأنقذ المبادئ التي قتلت باسم الشجاعة والرجولة والقوة.. جئت لأكون إنسانًا كما خلقه الله.

تمت بحمد الله

أحسست أنني تحررت من نفسي، لا أعلم كيف، ولكني تحررت من سجن نفسي.

لقد كتب بخط يده في الورقة البيضاء التي بأخر الكتاب:

"آسف لأنني سلمتكِ لهذا الكتاب بعض الوقت، ولكن اعذريني فقد رأيت نفسك وقد أصبحتْ تقودكِ، واقتربتْ من التغلب عليكِ وليس لي ذنب.

لقد أردت أن أتدخل بطريقة غير مباشرة..

عمومًا كوني على استعداد يوم 19 من هذا الشهر فسأكون في بيتكم لخطبتكِ، لقد اتفقت مع أبيكِ..

أحبكِ"..

بسرعة نظرت إلى النتيجة.. إن اليوم هو يوم 19 .